

بريطانيا مع وضد.. كيف؟

الكاتب



محمد الصياد

كان مقرراً أن يجري استفتاء شعبي في بريطانيا لتحديدبقاء الاتحاد الأوروبي من عدمه، في عام 2017. ولكن يبدو أن الأحداث وتداعياتها محلياً وأوروباً، قد فرضت على الحكومة البريطانية التي يقودها حزب المحافظين، إعادة جدولة أولوياتها، وتقديم موعد إجراء الاستفتاء إلى الثالث والعشرين من شهر يونيو/حزيران المقبل.

كانت الاعتراضات البريطانية على سياسات الاتحاد الأوروبي المتعلقة بالهجرة، منصبة في الأصل على «تسكين»، وتمكين مواطني الاتحاد الأوروبي من الدول المنضمة حديثاً للاتحاد الأوروبي، وتحديداً مواطني بلدان أوروبا الشرقية والوسطى، من الوصول إلى كل المزايا الاقتصادية والاجتماعية التي يتمتع بها مواطنو الدول الأعضاء في بلدانهم، على اعتبار أن ذلك يضيف أعباءً غير محتملة في الموازنة البريطانية، فضلاً عن مزاحمتهم للأيدي العاملة البريطانية في سوق العمل البريطاني وتضخيم مستوى البطالة.

ولأن القضية فرضت أولويتها، فقد كان متوقعاً تبكيـرـ الحـمـلـةـ الـبـرـطـانـيـةـ الـحـكـوـمـيـةـ الـمـنـظـمـةـ لـتـهـيـدـ وـابـتـازـ مـفـوـضـيـةـ الـاـتـحـادـ الـأـوـرـوـبـيـ فيـ بـرـوكـسـلـ وـالـدـوـلـ الـأـعـضـاءـ فـيـ، لـاسـيـمـاـ تـلـكـ التـيـ تـتـخـذـ مـوـاـقـفـ مـتـشـدـدـةـ مـنـ الـطـلـبـاتـ الـبـرـطـانـيـةـ باـحـرـامـ «ـخـصـوصـيـتـهـاـ»ـ وـاستـثـنـائـهـاـ مـنـ حـزـمـةـ الـإـمـتـيـازـاتـ (ـالـحـقـوقـ)ـ الـاجـتـمـاعـيـةـ الـمـمـنـوـحةـ لـمـوـاـطـنـيـ الـاـتـحـادـ الـأـوـرـوـبـيـ.ـ وـذـهـبـ دـيفـيدـ كـامـيرـونـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ دـوـلـ أـوـرـوبـيـةـ، مـرـكـزـيـةـ وـطـرـفـيـةـ، لـالـحـصـولـ عـلـىـ دـعـمـ حـكـوـمـاتـهـ لـلـمـطـالـبـ الـبـرـطـانـيـةـ.ـ وـعـقـدـتـ الـقـمـةـ الـأـوـرـوـبـيـةـ الـتـيـ خـصـصـتـ لـهـذـاـ الـمـوـضـعـ وـمـوـضـعـ مـوجـةـ النـازـحـينـ مـنـ الشـرـقـ الـأـوـسـطـ، وـحـصـلـ كـامـيرـونـ فـيـهـاـ عـلـىـ بـعـضـ التـنـازـلـاتـ الـتـيـ اـعـتـبـرـهـاـ كـافـيـةـ لـبـقـاءـ بـرـيطـانـيـاـ فـيـ الـاـتـحـادـ الـأـوـرـوـبـيـ، وـدـعـاـ الـبـرـطـانـيـيـنـ لـلـتـصـوـيـتـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ الـاـسـتـفـتـاءـ الـمـقـبـلـ.ـ فـقـدـ تـحـصـلـ عـلـىـ:ـ اـسـتـثـنـاءـ رـعـاـيـاـ الـاـتـحـادـ الـأـوـرـوـبـيـ إـلـىـ بـرـيطـانـيـاـ مـنـ مـزاـيـاـ عـمـونـةـ الـعـلـمـ بـشـكـلـ تـلـقـائـيـ،ـ وـلـمـدةـ 4ـ سـنـوـاتـ اـعـتـبـارـاـ مـنـ الـيـوـمـ التـالـيـ لـإـجـرـاءـ الـاـسـتـفـتـاءـ،ـ مـنـ دـوـنـ الـاخـلـالـ بـمـيـثـاقـ الـاـتـحـادـ حـولـ حـرـيـةـ التـنـقـلـ وـعـدـ التـميـزـ،ـ اـسـتـمـرـارـ السـمـاحـ لـلـمـهـاجـرـينـ بـتـحـوـيلـ أـمـواـلـهـمـ إـلـىـ ذـوـيهـمـ فـيـ بـلـدـاهـمـ وـلـكـنـ بـكـمـيـةـ أـقـلـ؛ـ اـحـفـاظـ بـرـيطـانـيـاـ بـالـحـقـ فـيـ توـقـيـفـ الـمـشـتبـهـ فـيـهـمـ بـإـرـهـابـ وـإـجـرـامـ،ـ حـتـىـ لـوـ لـمـ يـكـنـ تـهـيـدـهـمـ حـالـاـ،ـ دـعـمـ قـبـولـ الزـوـاجـ الـمـرـتـبـ مـنـ بـرـيطـانـيـاتـ الـهـادـفـ

الحصول على جنسية الاتحاد الأوروبي والعمل في بريطانيا

وترك بريطانيا أهمية عضويتها الكبرى في الاتحاد الأوروبي. فهي تحل ثانية بعد ألمانيا في حجم الاقتصاد، بإجمالي ناتج محلي يبلغ 2.945 تريليون دولار مقابل 3.859 تريليون دولار لألمانيا ، فضلاً عن قوتها العسكرية، التي من الصعب، إن لم يكن من الاستحالة بمكان للاتحاد الأوروبي أن يهدرها. فالاتحاد الأوروبي هو في الواقع ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وهولندا، والبقية مجرد أعضاء عاديين تستقوى بلدان المركز بأعداد سكانهم ومساحتهم الجغرافية وأسواقهم الاستهلاكية.

إنما سوف نرى هذه الدولة التي تهدد في كل مرة بالخروج و«الاستقلال» عن الاتحاد الأوروبي، على مقلب آخر وهي ترفع عقيرتها دفاعاً عن وحدة وسيادة الأراضي البريطانية والتحذير من مغبة النزعة الانفصالية لأسكتلندا التي كانت مستقلة حتى 1 مايو 1707 ، والتي تشكل إحدى الدول، أو الأقاليم الأربع للملكة المتحدة (بريطانيا) إلى جانب كل من إنجلترا، وإيرلندا الشمالية، وويلز، المنشأة في عام 1800 ضمن إطار نظام ملكي دستوري. فقد قامت الدنيا ولم تقعد في لندن حين قرر الأسكوتلنديون اجراء استفتاء للاستقلال عن بريطانيا. وجرى الاستفتاء في 18 سبتمبر 2014 في أجواء مشحونة بالتشنج والانفعال الناتج عن تهديدات لندن لإدبنة بالنتائج الاقتصادية الوخيمة لانفصالتها عن بريطانيا، فكان أن حصل معارضو الانفصال على 55.3% بينما كانت نسبة المצביעين لمصلحة الاستقلال 44.7%. ولكن المسألة لم تنته بعد، فقد حقق الحزب الوطني الأسكوتلندي الداعي للاستقلال فوزاً ساحقاً في الانتخابات البرلمانية التي جرت في 8 مايو 2015، بحصوله على 64 مقعداً من إجمالي المقاعد البالغ 128 ، ليجدد العهد بإجراء استفتاء ثان وتحقيق حلم الأسكوتلنديين في الاستقلال عن بريطانيا، خصوصاً إذا لم يوفِ ديفيد كاميرون بوعده التي أعطاها للأسكوتلنديين عشية الاستفتاء بمنحهم المزيد من الحكم الذاتي.

وكما أن من الصعب، إن لم يكن من الاستحالة بمكان انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، لأن بريطانيا لن تجد بكل بساطة من يفتح لها ذراعها الدافئة سوى «شقيقتها الكبرى» الولايات المتحدة، إنما بعيدة عنها بآلاف الأميال، فإن من الصعب أيضاً، اقتصادياً وجيوسياسياً وأمنياً، على الأسكوتلنديين اتخاذ قرار مصيري وخطر بحجم الانسحاب من كيان المملكة المتحدة والاستقلال التام عنها.

د. محمد الصياد

alsayyadm@yahoo.com